

سلمى بنت خصفة

زوج الصحابي الجليل المثني بن حارثة الشيباني

كانت من فواضل نساء عصرها

* سمعنا مقالتك يا أخا قریش

يقول المثني بن حارثة الشيباني :

خرجت أنا ومفروق بن عمرو وهاني بن قبيصة والنعمان بن شريك في موسم الحج ، وبينما كنا في منى أقبل محمد ﷺ - ومعه أبو بكر وعلى بن أبي طالب فسألنا أبو بكر :

- ممن القوم ؟

قلنا :

- من شيان بن ثعلبة .

فالتفت الصديق إلى خاتم النبي ﷺ وقال :

- بأبي أنت وأمي هؤلاء غرر في قومهم .

كان فيهم مفروق بن عمرو ، وهاني بن قبيصة ، والمثني بن حارثة ، والنعمان بن شريك .

فقال أبو بكر لمفروق بن عمرو :

- كيف العدد فيكم ؟

فقال مفروق :

- إنا لنزيد عن الألف ولن تغلب الألف من قلة .

فقال الصديق :

- كيف المنعة فيكم ؟

قال مفروق بن عمرو :

- علينا الجهد ولكل قوم جد - حظ -

فتساءل ابن أبي قحافة :

- فكيف الحرب بينكم وبين عدوكم ؟

قال مفروق بن عمرو :

- إنا لأشد ما يكون غضبا حين نلقى ، وإنا لأشد ما يكون لقاء حين نغضب ، وإنا لنؤثر الجياد على الأولاد ، والسلاح على اللقاح ، والنصر من عند الله يديلنا - ينصرنا - مرة ويديل علينا مرة .

ثم تساءل مفروق بن عمرو :

- لعلك أخو قريش ؟

فقال الصديق :

- أو قد بلغكم أن رسول الله ﷺ فيها ؟

ثم التفت أبو بكر نحو المبعوث للناس كافة ﷺ وقال :

- هو ذا

فقال مفروق بن عمرو :

- بلغنا أنه يذكر ذلك ، فإلام تدعوا يا أخا قريش ؟

فتقدم السراج المنير ﷺ وقال :

- أدعو إلى شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأنى رسول الله ، وإلى أن تؤووني وتنصروني ، فإن قريشا تظاهرت على أمر الله وكذبت رسوله واستغنت بالباطل عن الحق ، والله هو الغنى الحميد .

فعاد مفروق بن عمرو يتساءل :

- وإلام تدعو يا أخا قريش ؟

فراح إمام النبیین ﷺ يتلو : ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطْنٌ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [سورة الأنعام الآية : ١٥١] .

فقال مفروق بن عمرو فى دهش :

- ما هذا من كلام أهل الأرض ولو كان من كلامهم عرفناه .

ثم قال مفروق بن عمرو :

- وإلام تدعو أيضا يا أخا العرب ؟

فتلا البشير النذير ﷺ ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [سورة النحل الآية : ٩٠] .

فقال مفروق بن عمرو :

- دعوت والله إلى مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال ، ولقد أفك قوم كذبوك وظاهروا عليك .

وأراد مفروق بن عمرو أن يشاركه فى الكلام هانىء بن قبيصة فقال :

- هذا هانىء بن قبيصة وصاحب ديننا .

فقال هانىء بن قبيصة :

- قد سمعنا مقالتك يا أخا قريش ، وإنى أرى إن تركنا ديننا واتبعنا إياك على دينك بمجلس جلسته إلينا ليس له أول ولا آخر لزلة فى الرأى وقلة نظر فى العاقبة ، وإنما تكون الزلة مع العجلة ، ومن ورائنا قوم نكره أن نعقد عليهم عقدا ، ولكن نرجع وترجع وننظر وتنظر .

وكانه أراد أن يشاركه فى الكلام المثنى بن حارثة فقال :

- هذا المثنى شيخنا وصاحب حربنا.

فقال المثنى بن حارثة :

- قد سمعنا مقالتك يا أخا قريش ، الجواب هو جواب هانىء بن قبيصة فى تركنا ديننا واتباعنا دينك بمجلس جلسته إلينا ليس له أول ولا آخر ، وإن أحببت أن نؤويك وننصرك مما يلى مياه العرب دون ما يلى أنهار كسرى فعلنا ، فإنما نزلنا على عهد أخذه علينا كسرى أن لا نحدث حدثا وأن لا نؤوى محدثا ، وإنى أرى هذا الأمر الذى تدعوننا إليه أنت ، هو مما تكرهه الملوك .

فقال صاحب الخلق العظيم ﷺ :

- ما أسأتم فى الرد إذ أفصحتم بالصدق ، وإن دين الله عز وجل لن ينصره إلا من أحاط به من جميع جوانبه ، أرايتم إن لم تلبثوا إلا قليلا حتى يورثكم الله أرضهم وأموالهم ويعرסקم نساءهم تسبحون الله وتقصدونه .

فقال النعمان بن شريك :

- اللهم لك ذا .

❖ إسلامه

أسلم المثنى بن حارثة فى السنة التاسعة من الهجرة فقد كان أحد أفراد وفد بنى شيبان الذين جاءوا إلى مدينة رسول الله ﷺ وبايعوه ولما رجع إلى أهله أسلمت زوجته سلمى بنت خصفة

❖ أمرنى على قومى .

لما استخلف الصديق قدم المثنى بن حارثة الشيبانى وقال له :

- يا خليفة رسول الله إن فى قومى إسلاما كثيرا فأمرنى عليهم حتى أجاهد أعداء الله من فارس وأكفيك ناحيتى .

ففقده الخليفة الأول لواء على قومه ، وكانت منازل بنى شيبان فى حدود الصحراء مما يلى سواد العراق .

ورجع المثنى بن حارثة إلى قومه فجمعهم ودعاهم إلى الجهاد فاستجابوا له فأخذ يغير بهم على أطراف السواد وأسفل الفرات وهو فى كل غارة يروع الفرس ويقتل بعضهم ويصيب مغنما ، حتى أثار الاضطراب بين أهل السواد ونشر الرعب فى نفوسهم .

ولما ولى الخليفة الأول خالد بن الوليد حرب العراق ضم إليه المثنى بن حارثة

✽ مع خالد بن الوليد

أصبح المثنى بن حارثة ذراع خالد بن الوليد اليمنى فى جميع معاركه الحربية فقد كان المثنى شجاعا بطلا حسن الرأى والإمارة .

ولما سار خالد إلى الشام استخلف المثنى بن حارثة على من هناك من الجنود بالعراق .

✽ واقعة بابل

علم المثنى بن حارثة أن الفرس سيروا إليه جيشا ضخما قائده هرمز جازويه فلقبه المثنى بن حارثة ، وكان مع الفرس فيل ألقى الرعب فى خيل المسلمين فعمد المثنى وجماعة من المسلمين فقتلوا الفيل وهزموا الفرس .

✽ قرار خطير

لما ارتدت العرب إثر وفاة خاتم النبیین ﷺ اتخذ أبو بكر قرارا بحرمان الذين ارتدوا ثم عادوا إلى الإسلام من الجهاد فى سبيل الله وكان عدد هؤلاء عشرات الألوف فانطلق المثنى بن حارثة إلى المدينة فوجد الناس يبائعون الفاروق .

وأخذ أمير المؤمنين عمر برأى المثنى بن حارثة فى مسألة العائدين إلى الإسلام من المرتدين فأذن لهم الفاروق بالعودة إلى الجهاد فى سبيل الله .

وأبلى المثنى بن حارثة فى حروب العراق بلاء لم يبلغه أحد .

✽ وفاته :

مات المثنى بن حارثة الشيباني سنة أربع عشرة من الهجرة قبل موقعة القادسية .

✽ زواج سلمى سعد بن أبى وقاص

لما انقضت عدة سلمى بنت خصفة تزوجها الصحابى الجليل سعد بن أبى وقاص

✽ أبو محجن الثقفى

كان أبو محجن شاعرا فى الجاهلية وكان يشرب الخمر ، ثم أسلم

و ذات ليلة قبض عليه عسس أمير المؤمنين عمر بن الخطاب وهو يتمايل من السكر

فساقوه إلى الفاروق ومعه بعض ندمائه

فسألهم عمر :

- أشربتم الخمر بعد أن حرمها الله ؟

قال أبو محجن :

- كيف حرمها يا أمير المؤمنين وهو يقول ﴿ لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ

جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ [سورة المائدة الآية : ٩٣] .

فأرسل عمر إلى أبى الحسن ، فلما جاء على بن أبى طالب وعلم ما حدث قال :

- لو كان القصد من الآية ما فهمه الثقفى - يعنى أبا محجن - وندماؤه لساغ لهم أن

يستحلوا الميتة والدم ولحم الخنزير ، وأرى أن يقتلوا إن كانوا قد شربوها مستحلين -

الحكم الشرعى يقول : من استحل حكما معلوما تحريمه من الدين بالضرورة يقتل

كفرا - وأن يحدوا - يقام عليهم الحد - إن كانوا قد شربوها معتقدين حرمتها

فسألهم أمير المؤمنين عمر فقالوا :

- والله ما شككنا فى أنها حرام

فجعل الفاروق يجلدهم واحدا واحدا

ولما انتهى إلى أبي محجن قال :

وإني لذو صبر وقد مات إخوتي ولست على الصهباء يوما بصابر

الصهباء : الخمر

فقال عمر بن الخطاب :

- أبدت ما فى نفسك ولأزيدنك عقوبة لإصرارك

فقال على بن أبى طالب :

- ليس ذلك إليك يا عمر ، وما يجوز أن تعاقب رجلا قال سأفعل ولم يفعل

ولكن أبا محجن الثقفى لم يقلع عن شرب الخمر

كما لم يقلع الفاروق عن جلده كلما شرب

ولما أعيأ أمير المؤمنين عمر أمر أبى محجن وعجز عن إصلاحه قال له :

- لا تساكنتنى فى بلد أنا فيها

وأمر بنفيه

وحدث أبو محجن الثقفى نفسه فقال :

- لم يعد لى مقام بالحجاز ما كان فيه عمر

ثم فر إلى العراق

فلما علم عمر بذلك بعث إلى سعد بن أبى وقاص يأمر بحبس أبى محجن الثقفى

حين يفد ، فحبسه سعد ووضع القيد فى قدميه

✽ يوم القادسية

وقف سعد بن أبى وقاص فوق قصره يوم أرماث - أول يوم من أيام القادسية - فقد

أصيب بالدمامل وعرق النساء فمنعه ذلك أن يركب فرسا أو راحلة ولا يجلس فأشرف

على جيش المسلمين من القصر وفى صدره وسادة أكب عليها وأخذ يرمى بالرقاع فيها

أمره ونهيه إلى أمراء جيشه

وقيل :

شهدت سلمى بنت خصفة القتال مع سعد بن أبي وقاص يوم القادسية ، ولما كان يوم أرمات جال المسلمون وكان سعد لا يطيق جلسة إلا مستوخزا أو على بطنه فجعل يتململ ويحول جزعا فوق قصر العذيب ، فلما رأت سلمى ما يصنع أهل فارس قالت :

- وا مثيناه ولا مثنى للخييل اليوم

وهى عند رجل - سعد بن أبي وقاص - وقد أضجره ما يرى من أصحابه وفى نفسه - كان مصابا بالدمامل وعرق النساء - فلطمها سعد على وجهها وقال :

- أين المثنى من هذه الكتيبة التى تدور عليها الرحى - يعنى قبيلة أسد وعاصم بن عمرو - فقالت سلمى :

- أغيرة وجبنا ؟

قال سعد بن أبي وقاص :

- والله لا يعذرني أحد إذ أنت لم تعذريني وأنت ترين ما بى والناس أحق ألا يعذروني فتعلقها الناس

فلما ظهر المسلمون على الفرس لم يبق شاعر إلا اعتد بها عليه وكان غير جبان ولا ملوم

ولما اشتد القتال وكان أبو محجن فى محبسه وقيده أتى سلمى بنت خصفة وقال :

- يا سلمى بنت خصفة هل لك إلى خير ؟

قالت سلمى بنت خصفة :

- وما ذاك ؟

قال أبو محجن الثقفى :

- تخلين عني وتعيريني البلقاء - فرس سعد بن أبي وقاص - فله على إن سلمني
الله أن أرجع إليك حتى أضع رجلى في قيدي

فأبت سلمى بنت خصفة وقالت :

- وما أنا وذاك

فرجع عبد الله بن حبيب بن عمير بن عوف الثقفي يرسف في قيده ويقول :
كنى حزنا أن تردى الخيل بالقنا وأترك مشدودا على وثاقها
إذ اقممت عناني الحديد وأغلقت مصاريع دوني قد تصم المنايا
وقد كنت ذا مال كثير وإخوة فقد تركوني واحدا لا أخاليا
ولله عهد لا أخيس بعهدده لئن فرجت أن لا أزور الحوانيا

فرقت سلمى بنت خصفة واستخارت الله عز وجل . . ثم قالت له :

- إنى استخرت الله ورضيت بعهدك

وأطلقت أبا محجن الثقفي

ثم قالت :

- أما الفرس - البلقاء - فلا أعيرها

ورجعت سلمى بنت خصفة إلى بيتها

فاقتاد عبد الله بن حبيب البلقاء وأخرجها من باب القصر الذي يلي الخندق
فركبها، ثم دب عليها حتى إذا كان بحيال الميمنة كبر ثم حمل على ميسرة جيش
الفرس يلعب برمحه وسلاحه بين الصفين ثم رجع مع من خلف جيش المسلمين فكبر
وحمل على ميمنة جيش الفرس

وتعجب المسلمون منه وهم لا يعرفونه فقال بعضهم :

- هو من أصحاب هاشم نفسه

وجعل سعد بن أبي وقاص يقول وهو مكب من فوق قصره :

- والله لولا محبس أبي محجن لقلت هذا أبو محجن وهذه البلقاء

وقال بعض المسلمين :

- إن كان الخضر يشهد الحروب فنظن صاحب البلقاء الخضر

وقال بعضهم :

- لولا أن الملائكة لا تبأشر القتال لقلنا إنه ملك

فلما انتصف الليل حاجز أهل الفرس وتراجع المسلمون

وأقبل أبو محجن حتى دخل من حيث خرج ووضع نفسه في المحبس وأعاد رجله

في قيديه وقال :

لقد علمت ثقيف غير فخر

وأكرهم دروعا سابغات

وأنا وفدهم في كل يوم

وليلة قادم لم يشعروا بي

فإن أحبس فذلكم بلائى

قالت سلمى بنت خصفة :

- يا أبا محجن : في أى شيء حبسك هذا الرجل - تعنى سعدا - ؟

قال عبد الله بن حبيب :

- أما والله ما حبسنى بحرام أكلته ولا شربته ولكنى كنت صاحب شراب في

الجاهلية وأنا امرؤ شاعر يدب الشعر على لسانى يبعثه على شفتى أحيانا فيساء لذلك

ثنائى ولذلك حبسنى وذلك أنى قلت :

إذا مت فادفنونى إلى أصل كرمه

تروى عظامى بعد موتى عروقها

ولا تدفنني بالفلاة فإنني أخاف إذا مت أن لا أذوقها
وتروى بخمر الحصن لحدى فإنني أسير لها من بعد ماقد أسوقها
ولم تزل سلمى بنت خصفة مغاضبة لسعد بن أبي وقاص عشية أرمات وليلة الهدأة
وليلة السواد حتى إذا أصبحت أتته وصالحته وأخبرته خبرها وخبر أبي محجن
فدعا سعد بن أبي وقاص عبد الله بن حبيب فأطلقه وقال له :
- اذهب فما أنا مؤاخذك بشيء تقوله حتى تفعله
فقال أبو محجن الشففى :
- لا جرم والله لا أجيب لسانى إلى صفة قبيح أبدا
* وفاة سلمى بنت خصفة
توفيت سلمى بنت خصفة سنة ستين للهجرة